البعد التعليمي للمثل الشعبي الجزائري أمثال منطقة تبسة –أنموذجا–

of sbervorp a ideal popular algerian the of dimension educational the ledom a as noigre assebet

خليفة مامور[1,*]، علي كرباع[2]

[1] جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي (الجزائر)

[2] جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي (الجزائر)

تاريخ الاستلام : 2019/04/30 ؛ تاريخ المراجعة : 2020/11/08 ؛ تاريخ القبول : 2020/11/10

ملخص : يعد المثل الشعبي من الفنون الأدبية التي امتدت جذورها منذ القدم، إذ أخذ شكلا فنيا وقالبا أدبيا خاصا به، جعله قالبا متناقلا بين الأجيال، بوصفه وسيلة تعبيرية يستخدمها أفراد المجتمع في التعبير عن مواقفهم وأساليب عيشهم، بل وحتى أفكارهم على اختلاف أنشطتهم ، ومن ذلك كله تعددت الأمثال الشعبية بتعدد مجالاتها، فكان للمثل التعليمي حظ مما جادت به قريحة الحكيم الشعبي، وهو ينصح تارة ويرشد تارات أخرى داعيا إلى إعمال العقل والفطنة والتحلي بالأخلاق الرفيعة.

الكلمات المفتاح : الحكيم الشعبي؛ المثل الشعبي؛ القيم؛ المجتمع الجزائري؛ حياة الشعوب.

Abstract: Proverbs are an age-old literary art with a genuine shape that enjoy a linguistic and stylistic dimension. They are generationally transmitted. The proverb is a kind of expression that is used to tell an attitude or a lifestyle, or even to say an idea. Proverbs are the product of human experience, made generally by sharp-minded wise men. It is the living memory of peoples and nations. In brief, the proverb is used to express an attitude and to sum up different experiences in beautifully-expressed short saying.

Keywords : wise man; proverb; values; Algerian society; people's lives.

* Corresponding author, e-mail:khalifa-univ@mamour-eloued.zd

1- مقدمة

لقد تتعددت وتتنوعت موضوعات المثل الشعبي، بتعدد وتنوع تجارب أهله وما يمرون به في حياتهم من مظاهر، يختلف من مظهر الى آخر، فما يقال على ألسنتهم، ويتردد من هذا الفن الشعبي، لهو دليل على البعد الذي صور تجارتهم، ونقل خبراتهم، ومن ذلك كله تعددت الأمثال الشعبية بتعدد، تربويا، واقتصاديا، ودينيا، وتعليميا، وثقافيا، وغيرها مما عاشه الفرد الشعبي، إذ المثل الشعبي : "وشي الكلام، وجوهر اللفظ ،جلي المعنى ...حتى قيل أيسر من مثل".[1] فهو يجيبنا عن كل هذه الظروف، وعلى اختلافها وتغيرها.

فكنوز ثقافتنا الشعبية من الأمثال، إنما هي "كنوز قابعة في مكانها من قرون، تتناقلها أفواه قليلة، ونحن مكتفون بما ترميه إلينا عقول أخرى، تخدم مصالحها أكثر من نفعنا ثقافيا، وثقافتنا الأصلية ما زالت تنتظر

أقلاما تنتشلها من مخالب النسيان التي تهددها، ليطير إلى أفق أرحب، وتنشرها بين الناس لإثراء فكرهم وتعريفهم بقيم مجتمعهم".[2]

وعليه سنحاول في هذا المقال، التعرض للمثل الشعبي التعليمي، وما يحمله من قيم، والذي نال قسطًا وافرا من الأمثال الشعبية، على اختلاف المواضيع التي قد تطرق إليها، والتي نقلها الحكيم الشعبي تعبيرًا عن نشاطه؛ حيث هو:" إبراز خبيئات المعاني، ورفع الأستار عن الحقائق".[3] ولنا وقفة مع (النصح والإرشاد).

1.1- المثل التعليمي:

يحتاج الإنسان في حياته إلى اكتساب معارف تساعده في تنظيم شؤونه، هذه المعارف هي محصلة اكتسابه للعادات، والأفكار، والقيم، والمعلومات التي هي في محيطه الذي يعيش فيه.

2.1- النصح والإرشاد:

يعتبر النصح والإرشاد من الأبواب التي طرقها المثل الشعبي ولم يغفلها، فكان بمثابة :"مرآة صادقة تتجلى فيها صور الأمم، وما عليها من أخلاق وعادات ، وان الأمة لا ترقى إلى العمران ،أو تتألف لها لغة ،إلا وهي تنطق بالأمثال ،لأنها غرس الحكمة ونبت الخبرة".[4] إذ هما قيمتان يحتاجهما الإنسان في حياته مهما كانت معرفته للأشياء وإدراكه لها، فتجده محتارا في بعض من أمور حياته، لأن يسلك الطريق الصحيح، ولا يتحمل عواقب أمر من أموره دونما مشورة، أو إتباع نصيحة أو إرشاد، خاصة إذا كان من يقدمها من الذين كانت لهم الخبرات العديدة في مجالات من الحياة، فتجد إنسانا مصممًا على القيام بشيء ما، فيخطو خطواته الأولى للقيام به دونما نظر إلى من عايش ذلك الأمر، قبله، سواء من أقاربه أو أصحابه أو ممن تربطه بهم علاقة ما، لينصحوه ويرشدوه إلى ما وراء هذا الأمر من نتائج، قد تكون سلبية أو إيجابية ،"فالمثل يمثل جدلية الإنسان في واقعه ومع تجربته ،ويمثل أحيانا نوعا من التنفيس في فترات القهر والظلم والاستبداد".[5]

فحاجة المجتمع إلى النصيحة والإرشاد؛ إنما هي دعوة إلى الرقي الإنساني، أمرنا بها ديننا الحنيف، فكان" المثل من ثقافة الشعوب ،وهو يأتي مخاض حنكة وخبرة ...في أفراحها وأتراحها ،في انتصاراتها وانكساراتها".[6] وصورها في جوانب مختلفة من المقامات الإنسانية كالتجارة والعلم، والأخلاق، كذلك المثل الشعبي هو الآخر أراد أن يسهم في هذا الرقي، ورفع راية القيم العالية، بخوضه في ميادين حياتية متنوعة، كما دعا إلى التمسك بأهل التجربة واللجوء إليهم، خاصة ونحن في واقعنا نشهد تلك التباعدية بين أهل الخبرة في الحياة، فقد: "أصبح كالعملة ذات وجهين، وجه يشمل على معنى ظاهر، وآخر خفي".[7] وبين من جاء إلى هذه الدنيا ولم يع حقيقة سيرورتها بعد.

لقد سلك المثل الشعبي مجالات عديدة في هذا الباب، فهو:" الدافع الأصيل لأي شعب من الشعوب إلى الأخذ بأسباب التقدم العصري، ومسايرة النهضة العلمية في شتى المجالات."[8].كالأفراح والأعياد والمناسبات المختلفة، إلا ويرجع المثل تجربة تماثل التي قبلها، فيعبر عنها بنهي أو نصيحة، في لفظ يحمل من المعنى ما يلخص حياة أمم، وهي تساير تغيرات الزمان والمكان.

فالإنسان وهو يشارك بني محيطه الاجتماعي وما يجمعهم من روابط ومصالح يكون بالتعاون والتناصح، بغية تحقيق ذلك التكافل الاجتماعي، خاصة إذا كان المجتمع لا يرضى بالمفاسد التي قد تمسه وتعرقل حركته.فهو: "فكان المثل الشعبي وسيلة من وسائل الضبط الاجتماعي ،تستقبح الرذيلة وتعلي من شأن الفضيلة".[9]

فنجد في مجتمعنا العديد من الظواهر الاجتماعية، كأن يكون الإنسان مغترًا بنفسه، وما ينجر عن هذا الغرور من عواقب سلبية، فقالو: " **قيس قبل ما تغيص**" فكانت النصيحة مفخرة للناصح، بأنه صاحب ثمرة، والمنصوح من يتذوقها" فالحياة مراتب، ومن مراتبها حياة الأخلاق والصفات المحمودة، التي هي راسخة للموصوف بها، وكلما كانت هذه الأخلاق في صاحبها أكمل، كانت حياته أقوى وأتم من نصح وإرشاد وعفة وجود وسخاء وصدق ونحوها".[10]

فحب الإنسان لنفسه الخير، إنما هو مرهون كذلك للآخرين، فيحب لنفسه ما يحب لغيره، ويسعى في ذلك بحسب الإمكان،" فنشاط الإنسان تشجيع للآخر يزيد في إنتاج الأمة، وأن يسهم في نهضتها"[11]. فإن من أحب شيئًا سعى في سبيل تحقيقه، وبهذا يسعى إلى فتح أبواب النصيحة على مصارعها المختلفة، ولأن كثرة بعض المفاسد والأضرار تنمو وتتطور في مجتمعاتنا، ولعل ما نراه اليوم من تبذير كبير لشتى حاجيات الإنسان فيما يستخدمه في حياته من لباس وأواني وأكل وغيرها، دفع بالمثل إلى صرفها في أوجهها الصحيحة؛ كالتصدق بها مثلا إلى الذين لم يسعفهم الحظ في الوصول إليها، فتعود على صاحبها بالأجر بدل أن تضيع هكذا فقالوا:"**الجديد ليه لذة والقديم لا تفرط فيه** "

فالفرد والفرد المسلم على وجه الخصوص؛ في دنياه يعمل لغاية هي رضا الله تعالى، ونيل مغفرته، فيولد هذا الفرد فيه ويترعرع شيئًا فشيئًا، وخلال كل مرحلة من المراحل التي يخطوها في حياته وما يضعه فيها من بصمات، يضمن بها مستقبله وعيشه في دنياه، وإذا كان للدنيا نصيب منها للإنسان، فإن للآخرة نصيب آخر مقدمته نصيب هذه الدنيا، وما جناه بها هذا الإنسان من أعمال

تجلب له رضوان الله تعالى فقالوا: " **أجري يا صغري لكبري، واجري يا كبري لقبري**"

ينصح المثل بوصفه :"وسلة هامة لمعرفة أفكار وعادات الطبقة الشعبية، وما ينتابها من تناقض، وصراع اجتماعي ،فهو يساعد على التعبير والتقنين في تضمين الأحداث والوقائع"[12]. كذلك الفرد بعدم تدخله فيما لا يعنيه، حتى لا يقع فيما لا تحمد عقباه فقالوا: " **لا تخلط روحك مع النخالة ما ياكلك الدجاج** ".

كما قالوا في السياق ذاته: " **الخلطة تدي والجرب يعدي**".

من جهة أخرى تناول المثل عدم تمادي وتجاهل النصح بقوله: " **ما يشبع من رايو غير ليتيم والهجال**".

كما دعا المثل الفرد إلى النظر إلى شؤون حياته، حتى لا ينخدع سواء في أمور التجارة، أو الزواج أو غيرها فقالوا: " **عينيك ميزانك**".

كما أوجب عدم التماطل في ذلك فقالوا: " **لا تكون مر اطيشوك، ولا تكون حلو ياكلوك**".

كما قالوا: " **لا تبكي الراعي، ولا تجوع الذيب**"، وهنا دعوة إلى الاعتدال والوسطية.

يقدم المثل كذلك في باب الدعوات التي تقام في المناسبات، إن حصل وأن دعي فرد إلى مناسبة من المناسبات، أن يلبي هذه الدعوة فقالوا: " **أللي ناداك واجبو**".

وفي باب الأكل قالوا: "**أللي عشاه قلية يبداه بالغز**"، إشارة إلى أكل ما هو موجود، بدلا من أن يطمع في الآخرين، ويتذلل في الحصول على ما يملكون من أكل فقالوا: " **القلية والهنى ولا الكسكسي والبلى**"، كما قالوا: **أللي ما زاهش قبرو يرقد فوقو**".

كما حث المثل الشعبي على الكسب الحلال في ما يجلبه الإنسان من قوته فقالوا: " **بات بلا لحم تصبح بلا دين**".

وفي الجوار تناول المثل في حق الجار، أن يكون جارًا ذا طباع حسنة، حتى لا يقع الجيران في الخصومات والمنازعات فقالوا: " **الجار قبل الدار**"، فإذا ما حصل سوء خلاف بين الجيران؛ ضرب المثل القائل: " **بدل لمراح تستراح**".

فإذا نال الجار من جاره إلا ما هو قبيح، وأصبح كل الجيران يتأذون منه، وهو لا يبالي بأذيتهم، حتى أصبح شيئًا عاديًا، فعبر عنه المثل بـ : " **العود إذا شرف ما يجي منو مخطاف**".

وفي مجال العلاقات الاجتماعية يقول: " **بات على غيظة، وما تباتش على ندامة**"، كما دعا إلى ضرورة متانة العلاقات الاجتماعية، بنسيان الأحقاد فقالوا: **أنس الهم ينساك**"، كما قالوا: **أللي فات مات**".

كما دعا المثل وهو ينصح باتقاء الشبهات، والتي ينقلها المثل الشعبي بقوله:" **إذا راك زين درق روحك من العين**".

ودعا كذلك إلى التحلي بالفطنة، والحذر من بعض الأفراد حيث وصفهم بـ: " **جيل مجلجل اقص الكسرة بالمنجل**"، كما قالوا كذلك : " **احفف للذيب وهو يجري**"

أما عن الطباع التي يتصف بها كل فرد وهو يعيش مع مجتمعه، سواء كانت هذه

الطباع حميدة أو ذميمة فقالوا: " **وجه الخروف معروف**"

3.1- : الحكمة، العقل، والقول.

تنتظم حياة المرء وسلوكياته بإتباعه ما يجعل تعاملاته المختلفة سائرة وفق منهج سليم، فيكون بذلك متحكما في تصرفاته، حتى لا تكون غير مستقرة وغير مقبولة.

فيقدم المثل حكمة للفرد الشعبي، ناقلا إياها على سبيل الحكمة، أو القول المأثور، حتى ينتفع بها في حياته.

فعن زيارة الأقارب مثلا تناول المثل الشعبي، على سبيل الحكمة: " **زور وغب تزداد حب**"، أي عدم الإكثار من الزيارات، حتى لا يصبح الزائر مكروهًا لزياراته المتتالية.

وفي ضرورة التزام الصمت، وعدم الإكثار من الكلام يقول المثل: "**السكات والكلام الطيب**"، عن القول المأثور: " **لو كان الهدرة فضة، السكوت ذهب**".

يصور المثل كذلك مدى تألم الإنسان في حياته، خاصة إذا واجهته صعوبات وهو يجابهها لوحده، دون معونة من الآخرين فقالوا: " **ما يحس بالجمرة غير اللي عافس عليها**".

فيحثه على الصبر لتجاوز هذه الصعوبات والمحن والعوائق بقوله: " **ما يبقى في الواد غير حجارو**".

أما عن مساعدة الأفراد بعضهم لبعض، فحث الحكيم الشعبي على ذلك، على اختلاف المجالات؛ كتقديم التعازي لأهل الميت، فهناك من لا يقدمها فيعبر عنه المثل: " **لا جا في الحارة ولا في المارة**".

فالإنسان في محنه وبلاياه، يحتاج حتى إلى الكلمة الطيبة، لتساعده على المواصلة فقالوا: " **يد وحدة ما تصفق**".

وعن المشورة بين أفراد المجتمع قالوا: " **شاور ولو تتشاور**"، كما قالوا: " **أللي فاتك بليلة فاتك بحيلة**".

فكانت خبرة الحكيم الشعبي، وتجاربه في الحياة، مقومًا أساسيًا في جعل الفرد سالكا المسلك وهو يعي عواقبه، من خلال التجربة السالفة.

وعن سداد القول يقول الحكيم الشعبي: " **الباب اللي اجيك منو الريح سدو واستريح**".

وعن هجران الناس لمواطن الشر، وعدم الخوض فيها قالوا: " **اللي حضرلك مكحلة حضرلو مرجلة**"، إشارة إلى الابتعاد عن الشر وأصحابه.

يعبر المثل كذلك عن وجوب التعرف على التجارب والعلوم والمعارف، حتى قالوا: " **أحفظ واترك**"، أي أن كل حكمة نابعة عن تجربة أو ما شابهها، فإن لم تحضر في موقف ما، فإنها حتما ستحضر في مواقف أخرى.

كما لم يكتف الحكيم الشعبي بالحكمة فقط، بل أكد كذلك دور العقل فقالوا: **خيار القول ثبات لعقول**"، كما قالوا أيضًا: " **إذا الكرش مزود العقل رباطها**"، وقالوا: " **أمشي بلعقل توصل**".

بل أكد كذلك على ضرورة العمل به فقالوا: "**كون صحيح لا دعدع لا طيح**"، وهذا يتأتى بإعمال الإنسان لعقله.

2-الخلاصة:

إذن فالمثل الشعبي رغم بساطته، إلا أنه عبر عن الحاجات والرغبات والعلاقات، بل والمواقف التي تتماشى وحياة الإنسان وواقعه، فهو يقدم للقيم ما يجعلها مقبولة بين أفراد المجتمع، فالمثل حكمة وقول وعقل ونصح وإرشاد، وغير ذلك ، خلَّد مآثر وتجارب شهدت الصفاء والصدق والبساطة، فهو خلاصة خبرة جمعت بين المطالب به، والمبتعد عنه، في واقع جمع بين متناقضات عدة، حاول من خلالها المثل الشعبي إصلاحها وبعثها في حلة زاهية، كان للحكيم الشعبي أثره فيها.

وعليه يبقى المثل الشعبي، وهو يتناول مجالات مختلفة من حياة الأفراد، مصورًا لمدى عبقرية الحكيم الشعبي، وهو ينصح تارة ويرشد تارة أخرى داعيًا إلى الحكمة وإعمال العقل.

- **الإحالات والمراجع :**

[1]- ابن عبد ربه(أبو عمار أحمد بن محمد)،العقد الفريد، مج:03،تح: أمين صقر الأبيار، دار المعارف- القاهرة- ط:12، ص:63.

[2]- سعيد هاشمي، حكايات من التراث الشعبي، دار الهدى، (د.ط)، 2002م، ص:06.

[3]- التوحيدي(أبو محمد عبد الله بن محمد بن حيان)، كتاب الأمثال، تح : عبد العالي عبد الحميد، مطبوعات الدار السلفية، ط:1، 1982، ص:12.

[4]- أحمد تيمور بابا، الأمثال العامية، دار الكتاب العربي، مصر، ط:2، 1956م، ص:هـ.

[5]- حلمي بدر، أثر الأدب الشعبي الحديث، دار الوفاء، الإسكندرية،(د.ط)، 2002م، ص:37.

[6]- محمد مصطفى مجاهد، بعض أمثالنا الشعبية وجذورها من الكتاب والسنة، دار الفكر العربي، ط:1، 2007م، ص:11.

[7]- أمينة فزازي، مناهج دراسات الأدب الشعبي، دار الكتاب الحديث، ط:1، 2011م، ص:61.

[8]- محمد عباس إبراهيم، الثقافة الشعبية، دار المعرفة، (د.ط)، 2009م، ص:13

[9]- فاروق أحمد مصطفى، دراسات في التراث الشعبي، دار المعرفة الجامعية، ط:1، 2008م، ص:167.

[10]- ابن القيم الجوزية، تهذيب مدارج السالكين، تح:حامد أحمد الطاهر، دار الفجر، ط:1، 2009م، ص:571.

[11]- محمد الغزالي، جدد حياتك، دار العلم، دمشق، ط:13، 2004م، ص:153

[12]- التلي بن الشيخ، دور الشعر الشعبي في الثورة(1830-1954)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، (د.ط)، 1983م، ص:62.